

هجرة قبيلة أوربة البربرية من المغرب الأوسط: المواطن، الملبسات والنتائج

~~~~~ سبيع قادة \*

لماذا وقع اختياري على قبيلة أوربة بالذات من بين القبائل البربرية المتواجدة بالمغرب الأوسط؟  
لأن رئاسة البربر بالمغرب الأوسط، فضلا عن إفريقية والمغرب الأقصى عهد الفتوحات الإسلامية وحتى سنة 67 هـ/686 م : تاريخ بداية ولاية زهير بن قيس البلوي على إفريقية و المغرب ، كانت لقبيلة أوربة <sup>1</sup> .  
كونها أول قبيلة بربرية بالمغرب الأوسط ، و تحت قيادة بربرية صرفة ، تمثلت في كسيلة بن لمزم الأوربي البرنسي استطاعت أن تتحدى العرب ، و تنتصر عليهم في موقعة تهودة سنة 63 هـ / 682 م 2 .  
فضلا عن اعتبارها أول قبيلة من البربر أفلحت في قتل واحد من كبار ولاة العرب و قادهم العسكريين البارزين بإفريقية والمغربين الأوسط و الأقصى ، ألا و هو عقبة بن نافع الفهري ، صاحب الولاية الأولى (46 - 51 هـ / 666 - 670 م)، و الولاية الثانية ( 62 - 63 هـ / 681 - 682 م) 3 .  
بل وصل الأمر بهذه القبيلة، ألما كادت تبتس العرب في البقاء بمنطقة المغرب، خصوصا بعد دخول رئيسها كسيلة القيروان دار ملك إفريقية، و حكمه لهذه الأخيرة مدة غطت خمس سنوات ( 63 - 67 هـ / 682 - 686 م ) 4  
هذا ما دفع زهير بن قيس البلوي، القائد العسكري والوالي العربي الجديد، الذي استغرقت ولايته مدة ( 67 - 76 هـ / 686 - 695 م ) ، و من كان معه من جيش العرب إلى إخلاء إفريقية و الانسحاب إلى برقة : حيث طرق الصحراء و هي الوحيدة، التي تضمن للعرب النجاة من الجيوش المعادية، و العودة بسلام إلى موطنهم الأصلي، خصوصا إذا استمر كسيلة وجيشه في التقدم إلى ما وراء إفريقية شرقا، لأنهم أهل خبرة و دراية يمثل هذه الطرق .  
إذن ، فبهذه الخصائص مجتمعة ، انفردت هذه القبيلة البربرية بالذات، و تميزت عن غيرها من سائر القبائل البربرية الأخرى بالمنطقة ، و استحقت منا أن نخصها بهذا المقال .

1- من هي قبيلة أوربة البربرية ؟ و أين كان موطنها و مجالها الجغرافي التي تحركت ضمنه حتى عهد الفتوحات الإسلامية؟

يعتبر ابن خلدون ( ت 808 هـ / 1406 م ) الوحيد الذي تكلم باستفاضة أكثر عن القبائل البربرية بالمنطقة ، فقد وصلنا - لحسن الحظ - كل ما سجله عنها ،لأن معلوماته تلك تكتسي قيمة تاريخية كبيرة لاعتبارات:  
أولا : ثقافة ابن خلدون الواسعة ، و المتنوعة التخصصات نسبيا .  
ثانيا : ممارسته لخطة القضاء مدة ليست بالقصيرة .

ثالثا : عمله السياسي ، الذي اضطره للتنقل بين أعقاب و خلائف تلك القبائل - فضلا عن القبائل العربية - و عبر مواطنها - بغية الدعاية لصالح هذا الملك أو ذاك أو ضدهما تارة ، والاضطلاع بمهمة التعليم بين أبنائها عمرا طويلا تارة أخرى 5 .

\* قسم التاريخ، جامعة معسكر

سميت القبيلة بأوربة نسبة لأحد أجدادها ، الذي أطلق عليه أورب بن برنس، بن بر، حيث يتدرج نزولا في سلم الأجداد حتى مازيغ ، ثم يزيد في النزول عمقا ليصل في النهاية إلى حام بن نوح عليه و على نبينا محمد الصلاة و السلام 6. إن هذا القدر من النسب ، هو مما اتفق حوله نسبة العرب الذين خاضوا في في نسب البربر كابن حزم ( ت 456 هـ / 1064 م )، و ابن خلدون، و الفلقشندي ( ت 821 هـ / 1418 م )، و كذلك نسبة البربر كابن سليم المظماطي، وهاني بن مسرور الكومي، و كهلان بن أبي لوا 7.

فهذه إذن ، هي الخلاصة التي قدمتها لنا تلك المصادر عن الشجرة النسبية لقبيلة أوربة ، و التي كما نراها بعيدة تماما - و للأسف - عن معطيات علم الآثار و الحفريات، والقائمة أساسا على الروايات المحلية البربرية و روايات أهل الكتاب، خصوصا أحبار اليهود وكتاب التوراة 8، المعروفة في الثقافة الإسلامية الدينية، والمصطلح عليها بالأخص عند أهل علوم التفسير، بالإسرائيليات - أحبار أهل الكتاب - الواردة بنشأتها ثلاثة أصناف من الأحاديث الصحيحة المقبولة سندا ومتنا والمتعارضة في الظاهر حكما:

\* صنف أول من هذه الأحاديث : ورد فيه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قراءة كتب أهل الكتاب - المتضمنة للأخبار و الأحكام - بالتالي الأخذ بها و روايتها ، ف " عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و سلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فغضب ، و قال أمتهمو كون فيها يا ابن الخطاب ؟ و الذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو يبطل فتصدقوا به ، و الذي نفسي بيده، لو أن موسى صلى الله عليه وآله وسلم كان حيا ، ما وسعه إلا أن يتبعني " 9 .

\* صنف ثاني منها : هو نقيض السالف تماما، حيث أجاز فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، أمرا التحديث و الرواية عنهم بقوله " ... و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج .. " 10 .

\* صنف ثالث و أخيرا : أرشد فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، و بصيغة الأمر إلى التوقف في التعامل مع أخبارهم ومروياتهم، وبأن لا نصدقها و لا نكذبها، فقال: " ما حدثكم أهل الكتاب ، فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم، و قولوا : آمنا بالله و رسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، و إن كان حقا لم تكذبوه " 11 .

لكن بعد الدراسة والتحقيق، بالجمع بين أحاديث هذه الأصناف الثلاثة من قبل أهل الاختصاص، نجدهم توصلوا إلى رفع هذا التعارض الظاهري، بالتوفيق والتكامل بينها من غير تعطيل لنص من هذه النصوص الصحيحة، و الخروج بالنتيجة المفصلة التي سجلها ابن كثير ( ت 774 هـ / 1372 م ) في تفسيره 12، و خلاصتها :

- أن الصنف الأول المبطل و الناهي، لأنه متعلق بأخبار عن أهل الكتاب أبطلتها وردتها نصوص الوحي من الكتاب والسنة .
- والصنف الثاني المثبت، لأنه متعلق بأخبار عنهم، أيدها وأثبتها الوحي.
- والصنف الأخير، القاضي بالتوقف، لأنه متعلق بأخبار ومرويات عنهم سكوت عنها الوحي تماما وتوقف، إذ لم يقبلها ولم يرفضها .

من هنا ، وبملاحظة سريعة، بغير عناء، نخرج بعد الاستقراء الخاطف لأحكام هذه الأصناف، بأن مسألتها تلك مشمولة بحكم الصنف الأخير، الذي يلزمنا تجاهها التوقف، والبحث إن أردنا العلم عنها عبر طرق أخرى غير طريق مرويات وأخبار أهل الكتاب، كطريق الحفريات - و غيرها - كما سبق و أن ذكرنا .

لم تذكر الروايات المنشورة بين أيدينا، والتي تتكلم عن تاريخ البربر و قبائلهم و لو ميزة واحدة شرفت أورب، ورفعته إلى هذه المكانة، والمتمثلة في انتساب القبيلة إليه بالذات، ولا إلى غيره من الأجداد الآخرين .

لا نشك أو نرتاب من أن أورب تمتع بقوة وحكمة مكنته من تزعم البربر- إن لم يكن كلهم ، فجعلهم - وتحديه الخصوم، وإن لم يسجل له التاريخ ذلك .

بل نذهب إلى أن نفس هذه الميزات والخصائص كانت لبرنس ، و بر، ومازيغ ، مادامت قبائل البربر نسبت و سميت بها، و إن في مواطن أخرى غير هذا الوطن و الموضوع، وكل ما قام به أورب هو أنه ورث هذه المكانة عن هؤلاء الآباء بكل جدارة و استحقاق، وحافظ عليها، لذا حق لهذه القبيلة كلها أن تتسمى به .

لقد كانت قبيلة أوربية ذات شوكة قوية و بأس شديد، إذ مظاهر و صور ذلك كثيرة: ذكرنا بعضا منها في صدارة هذا المقال، فضلا عن ما ذكره ابن خلدون عنها عهد الوالي على افريقية و المغرب، أبي المهاجر دينار (51 - 62 هـ/ 670 - 681 م) 13 .

كما أن كل أجدام البرانس، المكونين لشطر قبائل البربر، خصوصا منهم البارزون : كهوارة ، و صنهاجة ... كانوا في صفها و تحت طاعتها .

بل وصل الأمر بهذه القبيلة أن فرضت سيادتها حتى على الأجدام البارزة للشطر الآخر المتبقي لقبائل البربر، و المتمثل في البتر 14 .

2- أما عن الوطن ، أو المجال الجغرافي التي كانت تتحرك ضمنه قبيلة أوبة بكل حرية و سيادة عهد الفتوحات الإسلامية، هو من دون شك مجال واسع : امتد من تهودة - أحد المراكز القيادية للقبيلة، و التي قضت انطلاقا منها على عقبة بن نافع الفهري و حاميته القليلة العدد في كمين وضع له ، غير متكافئ تماما بين الطرفين، و قتلته و بعض من كان معه، و أسرت البعض الآخر 15 - المدودة ضمن أعمال افريقية جنوبا، حيث أطراف الصحراء 16.

بالنسبة لما حدث من استشهاد لهذا القائد العربي، ومن كان معه من أتباعه، و أسر البعض الآخر ممن رافقوه، فإننا لا نستبعد أنه تم عبر مؤامرة ناجحة: خطط لها مسبقا ، فنسقت من أجلها، و أحبكت خيوطها أطراف متعددة، تمثلت في:

أحدها : كسيلة بن لمزم الأوربي البرنسي ، خصم عقبة المباشر ، الذي ملئ غيظا وحنقا ، جراء الإذلال و المعاملة المهينة التي تصرف بها تجاهه خلال أسره 17 ، خاصة وهو القائد العسكري الأكبر لبربر المنطقة ، و صاحب الزعامة الأواحد لقبيلة أوربية تلك يومها .

ثانيها : الروم، الذين كانوا على اتصال سري بينهم و بين كسيلة المأسور كما صرحت بذلك مصادر تاريخية 18، ومن باب أولى بينه وبين قومه قبيلة أروبية .

لا شك أن هذا الأخير كان يبلغهم بكل ما يمر به جيش عقبة، إلى أن حانت الفرصة التي لا تعوض، أمرا لهم ببداية ساعة الصفر لمواجهة مباشرة، و القضاء عليه ومن معه.

وهي تلك الفرصة المتمثلة في الخطأ العسكري المرتكب من قبله حين بقي في قلة من جيشه، بعد أن صرف معظم أفراداه إلى منازلهم عند الاقتراب منها 19، فضلا عن الإعياء و التعب الذي اعترى هذه القلة طيلة الرحلة الطويلة المنهكة و الشاقة ذهابا وإيابا بين ( القيروان - آسفي - القيروان ) .

ثالثها : قبيلة جراوة البتر ، قوم الكاهنة المعروفة باسم ( دهايا ) ، إذ كانوا طرفا قويا في هذه المؤامرة ، بحكم وقوع هذا الانحزام و الانكسار العربي على أرضهم و مضاربهم ( الأوراس ) 20 .

إذن ، فهذه القبيلة ، كان مصرح ترحالها من الجبل المذكور ، و مروراً بالاتجاه غربا فيها وراء المنحدرات الجنوبية ( لما يعرف اليوم بالأطلس الصحراوي ) ، حيث المغرب الأوسط يومها : المسرح الطبيعي لهؤلاء البرانس ، غير المتجاوز للريف إلى الصحراء و القفر الأملس ، و موطن كسب الشاة و البقر ، و كون الخيل في الغالب للركوب و التناج 21 .

و للمصلحة المشتركة التي جمعتهم بالروم - المتمثلة في مواجهة العرب - الذين كانوا يتمركزون بالمناطق الشمالية ( لما يعرف اليوم بالأطلس الصحراوي ) : كمنطقة الزاب و تيهت القديمة 22 ، أين توجد حصونهم و قلاعهم ، تحالف هؤلاء البرانس معهم ، هذا ما سمح لهم بالتوغل شمالا ، حيث حلفاؤهم الروم .

إن حد تواجد مسرح هذه القبيلة الجغرافي غربا ، قد تجاوز تلمسان - أحد أعمال المغرب الأوسط - إلى المغرب الأقصى ، الذي كان البرانس كلهم من المرتادين عليه ذهابا و إيابا ، كما ذكر صاحب العبر 23 .

3- فكل هذه القوة و التفوق لقبيلة أوربة على سائر القبائل البربرية الأخرى سوف لن تستمر و تدوم ، بل ستزول تماما ، و تصير القبيلة تابعة لا متبوعة كما كانت ، فضلا عن ذلك أنها سترغم بشكل قسري على هجرة مواطنها المذكورة تلك إلى مناطق جديدة ، أمام زهير بن قيس البلوي القائد العسكري و الوالي العربي الجديد ( 69 - 79 هـ / 688 - 695 م ) 24 .

قسم من هذه القبيلة سيتخذ لنفسه الوجهة الشمالية بالنسبة لمواطنها الأصلي الأول ، مجاورا لقبائل بربرية ، كان الفاتحون العرب هي الأخرى قد كسروا شوكتها ، و بالضبط على جبل الونشريس ، حيث استمرت باقية به حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، تاريخ رصدها من قبل الرحالة الإدريسي 25 .

قسم ثان ، سيتخذ لنفسه مستقرا و موطناً جديدا بشرق المغرب الأوسط ، و إن بالساحل هذه المرة ، حيث بونة ( أو عنابة حاليا ) ، متاخما لقبائل بربرية أخرى : كمصمودة و غيرها 26 ... هذا ما وقف عليه البكري المتوفى 487 هـ / 1094 م ، و دونه في كتاب المسالك و الممالك بحوالي قرن تقريبا قبل إنجاز الإدريسي مؤلف نزهة المشتاق ...

قسم ثالث و أخير منها ، نعتبه أقوى و أكثر أفرادا من القسمين السابقين ، و الوحيد الذي ينطبق على تحركه و تنقله مفهوم الهجرة الاصطلاحي - لا التنقل ، الذي يراد به اصطلاحا التحرك ضمن إطار المغرب الأوسط لا يتجاوز ، و هذا ما ينطبق على القسم الأول و الثاني لهذه القبيلة - الذي يراد به تجاوز إطار المغرب الأوسط إلى إطار آخر هو المغرب الأقصى ، أين سيتخذ من ويلي أحد أعمال هذا الأخير منطلقا له .

يكفي تعليلا على كثرة أفراد هذا القسم و شدة شوكته مقارنة بالقسمين الأولين ، تبكيه و سبقه هو بالذات لاستقبال إدريس الأكبر ، إذ يذكر ابن خلدون أنه في سنة 172 هـ / 788 م ، بوليلي : مقر هذا القسم الأكبر من قبيلة أوربة ، استقبل رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد ، العلوي إدريس الأكبر ، أحد أعقاب علي بن أبي طالب ( رضي الله عنه ) ، الفار من ملاحقة العباسيين له بالمشرق 27 ، هذا أولا .

و ثانيا : فرض هذا القسم على القبائل المجاورة إدريس الأكبر ، ليكون زعيما عليهم جميعا ، مما أفضى بها إلى مبايعته بالإمارة تباعا معربة في ذلك عن طاعتها و مناصرتها له ، فكانت النتيجة أن تحققت له و لأحفاده من بعده إمارات إدريسية استمرت طويلا بالمغربين الأقصى و الأوسط 28 .

4- إن ظاهرة الهجرة الجماعية القسرية لهذا القسم الأكبر من قبيلة أوربة ، التي اعتبرت عهد الفتوحات العربية بإفريقية و المغرب ، أكبر و أقوى قبائل البربر، شأنها في ذلك شأن أية ظاهرة اجتماعية ، ما تمت إلا بفعل ملاسبات و عوامل ، نراها لا تخرج عن أربعة :

**عامل الجدار القبلي:** المتمثل في الحاجز أو المانع الذي حال دون انسياح هذه الفتوحات بالمنطقة ، و الذي يكمن في هذه القبيلة ، التي وقفت فعلا كجدار منيع و عائق شاق منع من تقدمها ، و إن كنا لا ننكر من تأثير عمل خارجي في ذلك ، لا يقل أهمية عن هذا العامل ، ألا و هو انشغال الخلافة بإخماد ثورات الخوارج و الزيريين و العلويين 29. لم تكتف هذه القبيلة بهذا الرد و الموقف الدفاعي تجاه العرب الفاتحين ، بل تعدته إلى حالة هجوم و تقدم انتهى بالاستحواذ على مدينة القيروان 30 ، الذي لم يكن ينتظره العرب ، خصوصا من البربر السكان الأصليين، ظنا منها أن هذه المدينة قد صارت أضمن مكان ، و قاعدة للاستقرار و الأمن لها و للمخلفين كالشيوخ و المرضى و أصحاب الذراري و الأتقال 31، بالتالي فلن تغفل من يدها .

من هنا ، كان لابد على العرب أن يحطموا هذا الجدار، و يزيلوا هذا الحاجز بالتصدي لهذه القبيلة ، لأنه لا خيار عندهم في ذلك .

**العامل النفسي :** يتمثل في أثر وقوع فاجعة قتل عقبة بن نافع بتهودة على الفاتحين ، هو وجل من كان معه في المعركة ، قدرهم ابن خلدون بثلاثمائة فرد ، إذ اعتبرهم كلهم من كبار الصحابة و التابعين 32. من غير شك أن يكون هذا الحدث قد ألم هؤلاء العرب الفاتحين ، وأصاب مشاعرهم في الصميم ، فكان لابد عليهم من أن يأخذوا بالتأثر ، خاصة إذا علمنا أن من المقتولين صحابة لرسول الله ﷺ عليه واله وسلم ، أحب الناس إليهم في عقيدتهم بعد الرسل و الأنبياء ، معروفون بالصحة و العلم و الزهد . المرضي عنهم من قبل الله - جل وعلا - و المغفورة ذنوبهم ، و المضمونة لهم الجنة صراحة ، يشهد لهذا كله كلامه - سبحانه و تعالى - عبر عدة آي من القرآن الكريم ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

قوله تعالى : ( محمد رسول الله و الذين معه ... وعد الله الذين ءامنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجر عظيما ) 33 .

وقوله تعالى : ( لكن الرسول و الذين ءامنوا معه ... أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ) 34 .

وقوله تعالى : ( و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار ... رضي الله عنهم و رضوا عنه و أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ... ) 35 .

فضلا عن تزكية الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) في أحاديث كثيرة صحيحة لهم، و نعتهم بأحسن و أجمل الأوصاف، كوفهم خير و أفضل الناس بعد الأنبياء و الرسل (عليهم وعلى نبينا الصلاة و السلام ). من هذه الأحاديث: جوابه حين سئل عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، عن خير الناس - طبعاً بعد الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام - بأنهم الذين في قرنه 36، يعني بذلك صحابته ( رضي الله عنهم ) .

ولأن ظاهرة الأخذ بالتأثر - كما هو معلوم - لها جذور عميقة في أي مجتمع قبلي، بل هي أحد أسس حياتهم الاجتماعية ، و بالتالي لا يخفى ما لها من تأثير كبير في المجتمع العربي خصوصا يومها ، و الذي ينحدر منه هؤلاء الفاتحون.

من هنا، كان لابد من الإنتقام ، و الأخذ بهذا التأثر و إزالة العار، و فعلا هذا ما تم و حصل ، حين أرسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ( 65 - 86 هـ / 685 - 705 م ) زهير بن قيس ليتولى أمر إفريقية و المغرب خلفا لعقبة بن نافع ،

ممدًا إياه بالجنود والأموال شريطة أن يثار لهذا الأخير، وفكان أن أنجز ذلك، إذ قتل الزعيم كسيلة سنة 69 هـ / 686 م، و هزمت قبيلته أوربة والبرانس شر هزيمة 37، لم تقم لها قائمة بعدها أبدا .

**العامل الإعلامي:** و هو أن هذا الانتصار الحاسم، والقاسم للظهر (كما يقال) على قبيلة أوربة والبرانس، كان بمثابة تحذير لمن تبقى من الروم الدخلاء بالمنطقة، والسكان الأصليين من القبائل البربرية الأخرى. فكأن الفاتحين العرب بانتصارهم هذا ، أرادوا إبلاغ رسالتين إلى الطرفين معا :

**أولاهما :** مفادها أن كل من سيقف في وجه هذه الفتوحات ، يقضى عليه قضاء حاسما لا محالة، فلا ينهض بعده، ويكون مصيره نفس مصير أوربة و البرانس .

**ثانيها:** المقصودة هي الأخرى من هذا الانتصار العربي الحاسم، و فحواها هو ما سيعالجه العنصر الآتي مباشرة.

**العامل الحضاري:** العرب و قدومهم إلى إفريقية و المغرب، هل كان لأجل الغنائم و الخيرات والأموال، ومن ثم سيرجعون و يعودون إلى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه حالة حصولهم على ذلك؟ أم جاءوا لنشر الدين الجديد الذي آمنوا به؟ تلك إذن هي إشكالية ، لا زال هناك من يطرحونها : عرب كانوا أم غربيون .

كون الفاتحين ما قدموا إلا لأجل الغنائم... هو ما اعتقده الروم ، و ذهبوا إليه حين " راسلوا عبد الله بن سعد [ بن أبي سرح والي مصر ( 25 - 36 هـ / 645 - 656 م ) بأن] يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهباً ، على أن يكف عنهم ، و يخرج من بلادهم "38.

و هو كذلك نفس اعتقاد البربر تجاههم ، يفهم ذلك من قول الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة من البربر البتر لأتباعها ،حتى تبرر ما قامت به من تخريب للمنطقة ، و تقنعهم بذلك : "إن العرب ، إنما يطلبون من إفريقية المدائن و الذهب و الفضة ... فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها ، حتى يئس منها العرب ، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر "39.

لا نرتاب أو نشك في وجود من كان هذا هو هدفه و قصده الأول من هذه الفتوحات ، إلا أنه و في المقابل كذلك وجد من كان له مقصد و هم آخر ، وهو نشر الدين، فما قدم إفريقية و المغرب إلا لدعوة البربر و الروم إليه ، و بثه بينهم لغة و عقيدة و شريعة و أخلاقا ، و بالتالي حضارة مكتملة ، قائمة بذاتها في آخر المطاف .

و لعل أحلى و أوضح ما يدل على وجود هذا الصنف الأخير بالنسبة لهذه الفتوحات ، هو ذلك التصرف الذي سلكه عقبة و أصحابه حين أتوا طنجة ، سائلين صاحبها يوليان عن أماكن تواجد السكان ، فأجابهم بوجود الروم و النصارى و راءهم ، أما البربر الذين لا دين لهم ، ولا يعرفون الله ، فيأكلون الجيف ، و يشربون دماء مواشيهم ... فهم أمامهم40.

فما كان لعقبة و أصحابه إلا أن اختاروا السير نحو هؤلاء البربر، لأنهم أولى بالدعوة إلى هذا الدين من الروم و النصارى، فلو كان أولئك من طلاب الدنيا و الغنائم و الأموال ... لتوجهوا بغزواتهم نحو الروم : أسياذ المنطقة - و المستعمرين للبربر- أصحاب الأموال و النقائس و الثروات المتنوعة ، المخزنة في القصور و القلاع و الحصون ، ناهيك عن المبتوته على البسائط ، إذ هي بلا شك أكثر بكثير مما لدى البربر .

تلك إذن ، هي أهم ملابسات الهجرة لهذا القسم الأكبر من قبيلة أوربة و البرانس ، من المغرب الأوسط نحو المغرب الأقصى ، تاركة خلفها نتائج، سنقتصر على ذكر أهمها .

نتائج الهجرة :

أ- لقد تخلص العرب الفاتحون بالمنطقة نهائيا من هذه القبيلة القوية ، التي ما فتئت وقتئذ تمنع تقدمهم - بل تواجدهم - تارة بمفردها ، و تارة أخرى بتوحيدها مع الروم ، كما سبق و أن ذكرنا .

ب- تم هذا التخلص بطريقة و أسلوب جد منظم و مدروس ، و تبعا لخطوة محكمة ، تمثلت في تشتيت القبيلة ، و تجزئتها إلى ثلاثة أقسام :

قسم لاحقوه و اضطروه ليحط رحاله بـجبال الونشريس ، في جوار قبيلة بربرية أخرى مختلفة عنه تماما ، حتى ينشغل بها .

قسم ثان دفعوه قسرا ليستقر ببونة (عنابة حاليا) ، متاخما هو الآخر لقبائل بربرية لا تمت إليه بصلة ، محققين بذلك نفس الهدف السابق .

قسم ثالث، و هو القسم الأكبر و الأخير ، حرصوا على إبعاده عمليا إلى مرجنة ، ثم إلى ملوية بالمغرب الأقصى<sup>4</sup>، ليعرف هو الآخر نفس النهاية و المصير .

ت- فضلا عما أفضى إليه هذا التهجير من إفراغ المنطقة ، و خصوصا المغرب الأوسط من نسبة سكانية كبيرة كانت لا تفارق طول ما يعرف اليوم الأطلس الصحراوي بأطرافه الشمالية و الجنوبية : مسارح و مجالات هذه القبيلة ، هذا ما أحدث - بلا شك - خلخلة ديموغرافية بين الأطلسيين : ما يعرف اليوم بالتلي ، و الصحراوي للمنطقة .

الخلاصة هي : أن الفاتحين العرب ، و إن كانوا قد قضوا على هذه القبيلة القوية ، إلا أنهم اعترضتهم لاحقا انتفاضة قبيلة قوية أخرى عرفت باسم جراوة، قادتها امرأة اشتهرت بالكاهنة .

و هكذا سيستمر هذا الوضع غير المستقر بالمنطقة إلى حين مجيء الوالي الجديد موسى بن نصير ( 89 - 95 هـ / 707 - 713 م )<sup>42</sup>، ليضع حدا نهائيا لهذا الوضع ، و ينقل إفريقية و المغرب من عهد الفتوحات إلى حكم الولاة بعد تثبيت الإسلام بهما نهائيا، للشروع لاحقا في توجيه الفتوحات هذه المرة نحو الأندلس باتخاذها منطلقا و قاعدة لذلك.

الهوامش :

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، د.ت، ص : 1607، 1626، 1627 .
2. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، أبو عبيد، المسالك و الممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424، هـ/2003م، مج:2، ص256. ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ، أبو القاسم ، كتاب فتوح مصر و أخبارها ، تح: محمد الحجيري ، دار الفكر، بيروت ، ط1، 1416 هـ / 1996م ، ص : 337 .
3. ابن خلدون ، م. س، ص : 1018 . ابن عذاري ، محمد بن عذاري ، أبو عبد الله ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح: ج . س . كولان ، و إ . ليفي برونفيسال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 ، مج:1 ، ص : 29 . ابن عبد الحكم ، م . س ، ص : 329 ، 333 ، 337 .
4. م . ن ، ص : 337 . ابن خلدون ، م . س ، ص : 1018 ، 1019 . النويري ، أحمد بن عبد الوهاب ، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ( إفريقية و المغرب ، الأندلس ، صقلية و أفريقيا ) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح . و تعد: مصطفى أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، د . ت ، ص : 194 .
5. الجابري ، محمد عابد ، فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، أبريل 1994 ، ص : 23 .
6. ابن حزم ، علي بن أحمد ، أبو محمد ، جمهرة أنساب العرب ، تح . و تعد: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 5 ، 1982 ، ج : 2 ، ص : 495 . ابن خلدون ، م . س ، ص : 1597 ، 1626 . القلقشندي ، أحمد بن علي ، أبو العباس ، فلاح الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري بالقاهرة، و دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط 2 ، 1402 هـ / 1982 م ، ص : 35 .

7. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1597 .
8. E. Carette. Exploration scientifique de l'Algérie pendant les Années 1840, 1841, 1842 . Recherche sur l'origine et les Migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie, Imprimerie impériale, paris, M DCCC L, p : 21.
9. - ابن حنبل ، أحمد بن حنبل، أبو عبد الله ، ت 241 هـ ، مسند الإمام حافظ أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، مسند المكثرين ، مسند جابر بن عبد الله ، بيت الأفكار الدولية الرياض ، ط 1419 هـ / 1998 م ، ح : 15223 ، ص : 1058 . و اللفظ له . و بنفس المعنى في : م . ن ، ح : 14685 ، ص : 1022 . الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو محمد ، ت 255 هـ ، مسند الدارمي المعروف بـ " سنن الدارمي " باب : ما يتقى من تفسير حديث النبي صلى الله عليه و سلم و قول غيره عن قوله صلى الله عليه و سلم ، دار بن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1423 هـ / 2002 م ، ح : 449 ، ص : 66 .
10. - البخاري ، محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله ، ت 250 هـ ، صحيح البخاري ، كتاب " أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، دار الغد الجديد . المنصورة ، مصر ، ط 1 ، 1423 هـ / 2002 م ، حديث رقم 3461 ، ص : 646 . الترمذي ، محمد بن ، عيسى ، أبو عيسى ، ت 279 هـ ، الجامع الصحيح و هو سنن الترمذي ، كتاب : العلم ، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل . دار بن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1422 هـ / 2002 م ، حديث رقم : 2674 ، ص : 754 . ابن حنبل ، م . ن ، مسند المكثرين ، مسند سعيد الخدري ، حديث رقم : 2674 ، ص : 808 . . و ح : 11557 ، ص : 815 . و اللفظ لهم جميعا .
11. - أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، ت 275 هـ ، سنن أبي داود ، كتاب : العلم ، باب : رواية حديث أهل الكتاب ، دار بن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ / 1998 م ، ح : 17357 ، ص : 561 . ح : 4485 ، ص : 829 . و في كتاب التوحيد ، باب : ما يجوز في تفسير التوراة و غيرها من كتب الله بالعربية و غيرها ، ح : 7542 ، ص : 1405 . و في كتاب : الإعتصام بالكتاب و السنة ، باب : قول النبي صلى الله عليه و سلم : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، ح : 7362 ، ص : 1369 . و اللفظ لهما . و معناه - بدون الأطراف الثلاثة الأخيرة ، للحديث - عند : ابن حنبل ، م . ن ، مسند الشاميين حديث رقم أبي عملة الأنصاري ، ح : 17357 ، ص : 1241 .
12. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، أبو الفداء ، ت : 774 هـ ، تفسير القرآن العظيم ، دار الوطن للنشر بالرياض ، . السعودية ، دار بن حزم بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420 هـ / 2000 م ، ص : ( 10 - 11 ) .
13. ابن عبد الحكم ، م . س ، ص : 333 . ابن خلدون ، م . س ، ص : 1018 .
14. م . ن ، ص : 1607 ، 1626 .
15. ابن عذاري ، م . س ، 1 / 29 . ابن خلدون ، م . س ، ص : 1018 .
16. الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط 1399 هـ / 1979 م ، مج : 3 ، ص : 124 . الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، أبو عبد الله ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 2 ، 1984 ، ص : 281 .
17. ابن عبد الحكم / م . ن ، ص : 335 . النوري ، م . ن ، ص : 193 . ابن عذاري ، م . ن ، 1 / 29 هذا إن صحت هذه الرواية ، إذ كيف يناسب محتواها شهرة إستفاضة ورع و تقوى ، هذا القائد ؟ إن المؤرخ موسى لقبال ( رحمه الله ) يذهب إلى أنها رواية مشكوك وفي صحتها ، و أنها ما سبقت إلّا لـ " تبرير الغدر به و خيانتته " . لقبال ، موسى ، مقال بعنوان " أضواء كاشفة عن دور عقبة بن نافع في الفتح و علاقته بكل من أبي المهاجر دينار و كسيلة بن ملزم الأوزي " ، فعاليات الملتقى الدولي : عقبة بن نافع الفهري ، الملتقى الوطني الخامس ( بسكرة عبر التاريخ ) أيام : 11 ، 12 ، 13 ديسمبر 2006 ، إصدارات الجمعية الخلدونية الأبحاث و الدراسات التاريخية ، بسكرة ، الجزائر ، 2010 ، ص : 161 .
18. نذكر منها : م . ن ، 1 / 28 . النوري ، م . ن ، ص : 194 .
19. ابن عذاري ، م . ن ، 28/1 . النوري ، م . ن ، 193 .
20. لقبال ، م . ن ، ص : 161 .
21. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1597 .

22. ابن عذاري ، م . س ، 35/1 . مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط 1985 م ، ص : 171 .
23. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1626 .
24. ابن عبد الحكم ، م . س ، ص : 341 . ابن خلدون م . ن ، ص : 1018 .
25. الإدريسي ، محمد بن محمد ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بلجيكا ، ط 1983 ، ص : 107 .
26. البكري ، م . س ، 234/2 .
27. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1627 .
28. ابن عذاري ، م . س ، 1/ ( 201 - 216 ) .
29. الطبري ، محمد بن جرير ، أبو جعفر ، تاريخ الأمم و الملوك ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، د . ت ، ص : ( 1024 - 1127 ) .
30. الرقيق القيرواني ، إبراهيم بن القاسم ، أبو إسحاق ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تح : عبد الله العلي الزيدان ، و عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1990 ، ص : 16 .
31. م . ن ، ص : 16 .
32. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1626 ، 1018 .
33. الآية 29 ، من سورة الفتح .
34. الآيتان 88 و 89 ، من سورة التوبة .
35. الآية 100 ، من سورة التوبة .
36. مسلم ، مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين ، ت 261 هـ ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ط 1419 هـ / 1998 م ، ح : ( 2533 - 2535 ) ، ص : ( 1023 - 1025 ) ، أبو داود ، م . ن ، كتاب السنة ، باب : فضل أصحاب الرسول صلى الله و سلم ، ح : 4657 ، ص : 707 ، البخاري ، م . ن ، كتاب : الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، ح : 2651 ، 2652 ، ص : 482 . و كتاب : فضائل أصحاب النبي صلى الله و سلم ، باب : فضائل أصحاب النبي صلى الله و سلم ، ح : 3650 ، 3651 ، ص : 676 . و كتاب : الرقاق ، باب : ما يحذر من زهرة الدنيا و التنافس فيها ح : 6428 ، 6429 ، ص : 1209 . و كتاب : الإيمان و النذور ، باب : إذا قال : أشهد بالله أو شهدت بالله ، ح : 6658 ، ص : 1245 . و نفس الكتاب ، باب : إثم ما لا يفى بالنذر ، ح : 6695 ، ص : 1251 . الترميذي ، م . ن ، كتاب : الفتن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : ما جاء في القرن الثالث ، ح : 2226 ، ص : 643 . و كتاب : الشهادات عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : منه ، ح : 2307 - 2308 ، ص : 664 . ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، أبو عبد الله ، ت : 273 هـ ، سنن ابن ماجه ، كتاب : الأحكام ، باب : كراهية الشهادة لمن لم يستشهد ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ط 2004 ، ح : 2362 ، ص : 254 . ابن حنبل ، م . ن ، مسند المكثرين ، مسند عبد الله بن مسعود ، ح : 3594 ، ص : 309 . و ح : 3963 ، ص : 337 ، و ح : 4130 ، ص : 349 ، و ح : 4173 ، ص : 352 . و ح : 4216 ، ص : 335 . و في مسند الكوفيين ، حديث النعمان بن بشير ، ح : 18538 ، 18539 ، ص : 1337 و ح : 18619 ، ص : 1343 . و ح : 18638 ، ص : 1345 . و في مسند البصريين ، حديث عمران بن حصين ، ح : 20058 ، ص : 1453 . و ح : 20148 ، ص : 1460 ، و ح : 20195 ، ص : 1463 . و في مسند الأنصار ، حديث بريدة الأسلمي ، و ح : 23348 ، ص : 1704 . و ح : 23412 ، ص : 1709 .
37. م . ن ، ص : 1627 .
38. النويري ، م . س ، ص : 183 .
39. ابن عذاري ، م . س ، 36/1 .
40. م . ن ، 26/1 .
41. ابن خلدون ، م . س ، ص : 1607 .
42. خليفة بن خياط ، أبو عمرو ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط 1414 هـ / 1993 م ، ص : 238 ، 234 .